



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

د.مظهر محمد صالح*: رأس المال الوهمي : حوار فكري

انتهيت من تفسير ظاهرة رأس المال الوهمي لكارل ماركس والتي ساقها مثال يتداوله الجميع في يومنا هذا وهو اشبه ما باللغز وبات من دون تفسير محدث في ضوء منهجية الفكر الاقتصادي ودورها في شرح هكذا ظواهر في نطاق اقتصاد المعاملات. فالمثال المتداول يشير صراحة الى ذلك الرجل الذي اودع مئة دولار لدى صاحب فندق وطلب الانتظار قليلاً قبل ان يقرر بان يستاجر غرفة له في ذلك الفندق، هنا استغل صاحب الفندق المبلغ المودع لديه لتسوية دينه حالاً لدى قصاب المدينة المجاور وبالمبلغ نفسه ومن ثم كيف تولى القصاب من فوره هو الاخر في دفع دينه و بالمبلغ نفسه الى صاحب الماشية ومن ثم قام الاخير بدفع ما بذمته حالاً الى صاحب العلف واخيراً قام صاحب العلف بتسوية دين مماثل كان بذمته لدى صاحب الفندق نفسه . هنا عاد الرجل الى الفندق وحسم امره وقرر ان لا يستاجر الغرفة وسحب المبلغ المودع لدى صاحب الفندق وترك المكان بعد ان جرت تسوية الذمم وتوازنت المصالح جميعها بين الدائن والمدين .

ان الحكمة والمنطق الذي ضبط ايقاع عملية التسوية الاقتصادية للذمم بين الجميع قد وسد كل ما بذمته (في مصفوفة تسويات متقابلة ومتعادلة قيمياً وزمنياً) لقاء الاستعمال المؤقت لمبلغ المئة دولار والذي عاد في نهاية اليوم الى صاحبه دون كلفه باستثناء استثماره عبر الزمن في ساعات ذلك اليوم . السؤال هنا كيف نجد تفسيراً نظرياً لهذه الظاهرة الشديدة المنطق في علم اقتصاديات التبادل؟



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

تتطوي الظاهرة انفاً على تفسير اولي جاءت به المدرسة الاقتصادية الكلاسيكية في تحديد وظائف النقود (كوسيلة تبادل ووسيلة حساب فحسب) لتجعل كلف المعاملات في حدها الأدنى بسبب كفاءة المدفوعات النقدية للعمليات الحقيقية الملازمة لها عند التسوية، ولكن ما اجده مهماً هو الحاجة النظرية المفسرة لمصفوفة المعاملات في تلك الصيغة المتكافئة بين الاطراف المتعاملة كافة لتكون على النحو الاتي :

ان ثمة فرق بين استثمار الزمن بالتدفق flows للالتزامات النقدية المتقابلة وبين استثمار الزمن بالارصدة (stocks دون تسوية فعلية للالتزامات المتقابلة) واستمرارها ساكنة عبر الزمن . فالظاهرة الستاتيكية الاخيرة تعارض المعطيات المرفوضة اجتماعياً ودينياً لكونها تجسد نمط من انماط التراكم الراسمالي غير الشرعي القائم على ظاهرة الربى usury اذ ستظل ترتب التزامات وكلف يتحملها البعض على البعض لغياب وظيفة النقود وحياديتها rality of Money وعدم تدفقها بشكل متاح تلقائياً. في حين ان توافر النقود كسلعة وعامة(من حيث الوظيفة) اي كوسيلة تحريك آلي للتبادل سيؤدي الى احداث تسويات كبرى تمثل استثماراً (ديناميكياً) لزمن المعاملة وليس استثماراً (ستاتيكياً) في الزمن نفسه للمعاملة . فالنظرية الالهية منذ العصر الاقتصادي السكولائي الوسيط تقول ان الزمن ملك الله وهو سلعة عامة وليست خاصة للاستغلال وتراكم الراسمالي . وهذا هو جوهر مانسميه بالاقتصاد اللاربوي الذي لايسمح بتحويل راس المال الوهمي الى راس مال حقيقي جائز اي عبر استغلال الاستثمار الستاتيكي للزمن. ان العرض الفكري في اعلاه جاء ليفسر الفلسفة الاقتصادية العميقة التي تقف خلف ظاهرة راس المال الوهمي قبل ان يتحول الى حقيقي يولده الاستغلال الستاتيكي للزمن .وهنا تقترب الماركسية كثيراً من الفكر الاقتصادي السكولائي في العصر الوسيط او حتى الاسلامي

واخيراً فثمة تلازم واضح بين تطور وظائف النقود وحقيقة تطور راس المال الحقيقي والوهمي . اذ يلحظ ان تكوين راس المال الحقيقي يلزم وظيفة الاستثمار بالارصدة النقدية كظاهرة ستاتيكية او ساكنة عبر



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

الزمن. بعبارة اخرى هي الكيفية التي يتشكل فيها راس المال (الحقيقي) لتتجسد وظيفة جديدة للنقود
بكونها مخزن للقيمة وعلى وفق المذهب الاقتصادي الكنزي. ومن جهة اخرى فان التلازم بين راس المال
(الوهمي) المتأتي من الاستثمار المتدفق عبر الزمن في الارصدة النقدية يجسد لامحالة وظيفة النقود كما
جاء بها المذهب الاقتصادي الكلاسيكي كوسيلة حصرية لاغراض التبادل فحسب

تتشكل التكاليف وتتحدد معالمها في مراحل (خلق القيمة) على وفق المنهج الاقتصادي الكلاسيكي حصراً
ما يعني ان تكاليف المنتج هي نفسها في مرحلة التبادل ولا وجود لفكرة القيمة التبادلية او المنفعة كمحدد
للقيمة او مايسمى بمرحلة (تحقيق القيمة). اي ان كلفة المنتج وقيمه تتحقق في مرحلة الانتاج ولا وجود
لكلفة التبادل التي تقارب الصفر ذلك لكون الاندماج في مرحلتي بناء القيمة هو امر قائم بين خلق القيمة
وتحقيق القيمة وان البنية الفوقية التبادلية ملتحمة بالبنية التحتية الممثلة بعلاقات الانتاج وقوى الانتاج
لتولد كلفة انتظار مقدارها صفر بسبب الاستثمار المتدفق للزمن flow كما نؤهنا سلفاً.

وان الربح التنافسي الذاتي هو ظاهرة أساسية للتراكم الراسمالي الفعلي او الحقيقي لمرحلتي خلق القيمة
وتحقيق القيمة دونما انفصال بين الانتاج والتبادل او هيمنة البنى الفوقية التبادلية على البنى التحتية
الإنتاجية وجعلها دالة لها في توليد تراكم راسمالي وقائي حقيقي او فعلي ذاتي يؤدي وظيفة حماية التوازن
والاستقرار وتعجيل النمو ان صح التعبير في سوقي الانتاج والتبادل وعدهما زحالة ذاتية لخلق القيمة
وتحقيقها في آن واحد دونما انفصال يذكر.

وامتد الافتراض الصفري لكلفة المعاملات وأخذ مداه ليصبح حتى احد الاعمدة الافتراضية للمدرسة
الاقتصادية النيوكلاسيكية منذ عهد ليون فالرأس في التوازن العام والفريد مارشال وغيرهما.

وظلت افتراضات المدرسة النيوكلاسيكية (المدرسة الحدية) متشددة في إطارها النظري والتي منها فرضية
التصرفات العقلانية المطلقة لأطراف العلاقة الاقتصادية والتي تتوافر لمتعاملها قاعدة معلومات مطلقة



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

وعلى وفق مايسمى ب full market of information لبلوغ التفضيلات المثلى للمتعاملين و ان كلفة المعاملات تقترب من الصفر لتحقيق الاستقرار والتوازن العام وتصفية السوق من السلع عند كل دورة إنتاج او دخل او مايسمى market clearing assumption من اجل استمرار النمو بترابط الاسواق جميعها عرضاً وطلباً عبر آلية استمرار تراكم راس المال الفعلي .ولكن مع تعقد الحياة الاقتصادية وتشابكاتها وظهور كلفة المعاملات كقيد كبير ومهم على كفاءة اتخاذ القرارات سواء المستهلكين منهم والمستثمرين، فقد ظهرت المؤسسات المؤازرة والمساندة للسوق التي تتولى خفض الكلف التبادلية وغيرها عن طريق رفع كفاءة الاسواق وتسهيل انسيابية تحديد الثمن التوازني بما فيها على سبيل المثال دور القضاء ومؤسسات تسجيل حقوق الملكية والأمن والمؤسسات الرقابية والانظمة وغيرها لتؤدي دور قاعدة المعلومات الكفاء والتصدي لارتفاع كلف المعاملات والتبادل واشاعة الحوكمة وفق مفاهيم القرن الحادي والعشرين الحالي .كما برزت الأهمية النسبية للمدرسة المؤسسية الامريكية ولاسيما الحديثة منها بزعامة دوغلاس نورث وغيره لتقريب حالة الاستقرار الاقتصادي وإدارة مشكلات تكاليف المعاملات وتشعباتها عبر دور المؤسسات وبشكل يعظم من كفاءة السوق والمنافسة والتقليل من مشكلات التراكم المطلق والمتسارع لرأس المال الاحتكاري (الحقيقي) بسبب ارتفاع مخاطر كلفة المعاملات وما يتطلبه من استحواذ على قيم الإنتاج، وابقاء قطاع التبادل او قطاع (تحقيق القيمة) بمثابة القيد او البناء الفوقي الرئيس على قطاع (خلق القيمة) كبنية تحتية تمثل علاقات الإنتاج وقوى الإنتاج .وهكذا ستظل مشكلات الرأسمالية كنظام يسعى لتحقيق التوازن من خلال العرض والطلب لبلوغ السعر التوازني كتمثل للقيمة من دون دورات اقتصادية امر صعب المنال في اطار الفكر النمطي الاحادي للمدرسة النيوكلاسيكية التي غلبت افتراضاتها المجردة على التفكير الأكاديمي والتحليل الاقتصادي المدرسي حتى وقت قريب. وفي العصر النيوكلاسيكي الرقمي الراهن



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

فقد أخذت قضايا نظرية اقتصادية مهمة في مفهوم توازن السوق الرقمية، فعلى سبيل المثال أخذ قانون مارشال في العرض والطلب (لتحديد الاسعار التوازنية) في سوق التبادل مفهوماً جديداً في توازن السوق الرقمية.

فالاسعار التوازنية الرقمية هي تمثل تعادل الطلب مع العرض .

حيث يمثل العرض هنا احتواء جميع المشكلات بما فيها مشكلات البنية التحتية القانونية والبيروقراطية الحكومية وغيرها والنزول بها الى حدها الأدنى الامثل في تدنية التكاليف من خلال تبسيط الاجراءات وشفافية اللوائح الرقابية.

وهكذا وبناء على ما تقدم ، يظهر ان نشوء كلفة تبادلية في المعاملات لا يؤشر سوى ان هناك ثمة خطر risk يتمثل بظاهرة الخيار الزمني للانتظار .وان كلفة الانتظار هي من الأنماط الستاتيكي عبر الزمن stock الذي أمسى بنفسه جزءاً مهماً من مركبات كلفة المعاملات ما يقتضي توافر راس مال حقيقي او فعلي يمثل المصدة الاساسية في مواجهة او امتصاص الكلفة الفرصية للانتظار الوقت . بعبارة اخرى التحسب في مواجهة الخسارة المُحتملة ذلك بامتصاص الخسارة الزمنية بين انفصال مرحلة خلق القيمة (الانتاج) عن مرحلة تحقيق القيمة(التبادل) .وهنا يتجسد الخطر بالخسارة المُحتملة جراء تحقق ظاهرة الخزين الزمني stock او الاستثمار الستاتيكي عبر الزمن في تيار المعاملات كما نوّهنا سابقاً .فكل مخاطرة risk تقتضي توافر راس مال حقيقي وليس راس مال وهمي لمواجهة احتمالات الخسارة بسبب تعثر التدفق الزمني flow للتبادل وتحوله الى stock ونشوء كلفة للتبادل هي اكبر من الصفر حتماً . وهنا ظهرت السوق المالية لتشكل اساس الفصل او الوتد أذني دق بين مرحلتي الخلق القيم وتحقيق القيم وان واحدة من اعلى انواع تكاليف التبادل في الزمن الستاتيكي للمعاملات هي استثناء الفائدة المصرفية التي تفرض على إدامة الفاصل الزمني بين وحدات العجز (طالب التمويل لسد مشكلات معاملاتهم



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

(لمصلحة وحدات الفائض من (المودعين او طبقة المدخرين). فالسوق المالية وفرض الفائدة امست العجلة vehicle لدفع نشوء وتراكم رأس المال الحقيقي او الفعلي في النظام السكوني الذي يستثمر في الزمن stock مقابل رأس المال الوهمي في النظام الراسمالي الديناميكي بشكله الاولي الذي يستثمر عبر الزمن flow بسبب تعثر التدفق الدوري للمبادلات وانفصال ظاهرة القيم بين الخلق والتحقيق وظهور مخاطر الانتظار الزمني للمعاملة . stock وهكذا فقد باتت الفائدة المصرفية بمثابة النمط والأداة التي تحول القيم من قطاع خلقها عند (الانتاج) لتصبح اداة تراكم رأس المال فعلي او حقيقي في قطاع تحقيق القيم التبادلية (سوق التبادل)، اي ان قطاع خلق القيمة او الانتاج هو حبيس قيد اسمه كلفة المعاملات الناجمة عن مخاطر ذلك الانتظار عبر الزمن حتى تتم التسوية النهائية للمعاملات والتي تمثلها سوق التبادل او سوق تحقيق القيمة من خلال ولادة الثمن التوازني لقوى التبادل الممثلة بالعرض والطلب حيث تتحكم المنفعة الاستعمالية بدوافع تلك القوى.

الاستنتاجات

١- يلحظ ان رأس المال الوهمي يتحقق نظرياً وفق الرؤية الكلاسيكية عندما تكون كلفة المعاملات قريبة من الصفر وان قيمة معاملات هي رهينة بعوامل خلقها ولا قيمة تتحقق خارج نطاق الانتاج طالما ان خلق القيمة وتحقيق القيمة هما في تطابق زمني واحد ومتدفق. flow وبخلاف ذلك فان كلفة الانتظار stock ستولد كلفة معاملات وان الانتظار ان طال او قصر يمثل خطر risk يتطلب مواجهته برأس مال حقيقي. أي ان وظيفة رأس المال الحقيقي هي لمواجهة الخطر والذي يعني الخسارة التي لا بد من ان تغطي عن طريق توافر رأس المال الفعلي نفسه. وكلما زادت المخاطر بسبب انفصال مرحلتي خلق القيمة (الانتاج)



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

وتحقيق القيمة (التبادل) فان فائض القيمة سيتحول ا ويتم استلابها بصورة تراكم رأس مالي فعلي او حقيقي وتحول رأس المال حقاً من الحالة الوهمية الى الحالة الحقيقية.وهنا تبدأ حقاً

مرحلة تراكم رأس المال الفعلي عن طريق احلال دور لمخاطر المعاملات وتوافر قوة مالية تمثل كلفة مواجهتها ولكن بواسطة تدوير الفائض الاقتصادي وامتصاص القيمة او تحويلها من خلال نظام الأسعار وعلى وفق التعبير المدرسي الماركسي (الذي يقتضي اندماج وحدة القيمة او انفصالها بين الخلق و التحقيق)

وأخيراً تكنى القيمة بالثمن في المرحلة التبادلية من خلال العرض والطلب لبلوغ وبناء رأس المال الحقيقي وتراكمه لتحقيق النمو الاقتصادي وتجديد الانتاج من خلال ترابط الاسواق جميعها تبادلياً بالعرض والطلب . وتتحدد القيمة هنا بالمنفعة وعد ذلك مصدر القيمة وليس مقدار العمل المبذول في مرحلة توافر فكرة رأس المال الوهمي الشديدة في نظريته كما تراها المدرسة الكلاسيكية بتفاصيلها المذهبية الاقتصادية المختلفة من آدم سميث وحتى كارل ماركس.

٢- في كلاسيكيات علم الاقتصاد هنالك منطقتان للقيمة ،تسمى الاولى بمنطقة خلق القيمة حيث تتطافر عوامل الانتاج فيما بينها ليتحقق قيمة المنتج في حين تسمى الثانية بمنطقة تحقيق القيمة وهي منطقة التبادل . فاذا كانت كلفة التبادل تقترب اوتساوي صفر فان رأس مال سيكون وهمياً وان وظيفة النقود هي تسهيل التبادل فحسب ولا قيمة الا في منطقة خلقها واذا ما كانت التكاليف اكبر من صفر معنى ذلك ان هنالك مخاطر في منطقة التبادل او منطقة تحقيق القيمة الامر الذي يقتضي توافر رأس مال حقيقي او فعلي يرتبط بوظيفة جديدة للنقود هي مخزن للقيمة.



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK
www.iraqieconomists.net

أوراق في الفكر الاقتصادي النظري

وان من أوسع أشكال الصراع داخل معسكر رأس المال هي الصراع بين أشكال رأس المال الفعلي بين منطقتي (خلق القيمة وتحقيق القيمة) للاستحواذ على فائض القيمة ودرجة انتقالها من منطقة الخلق الى منطقة التحقيق وتعظيم التراكم الراسمالي فيهما والتي ولدت في نهاية المطاف مرحلة مهمة في تاريخ الرأسمالية وتركزاتها واندماجات اشكالها ومناطق القيمة فيها مثلتها مرحلة مهمة في تاريخ الراسمالية. سُميت بالراسمالية المالية financial capitalism لتجسد احدى الأسس الاقتصادية للظاهرة الإمبريالية.

(*) اكاديمي باحث وكاتب اقتصادي عراقي والمستشار المالي لرئيس الوزراء العراقي

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بأعادة النشر بشرط الاشارة الى المصدر. 27

آب 2018

<http://iraqieconomists.net/ar/>